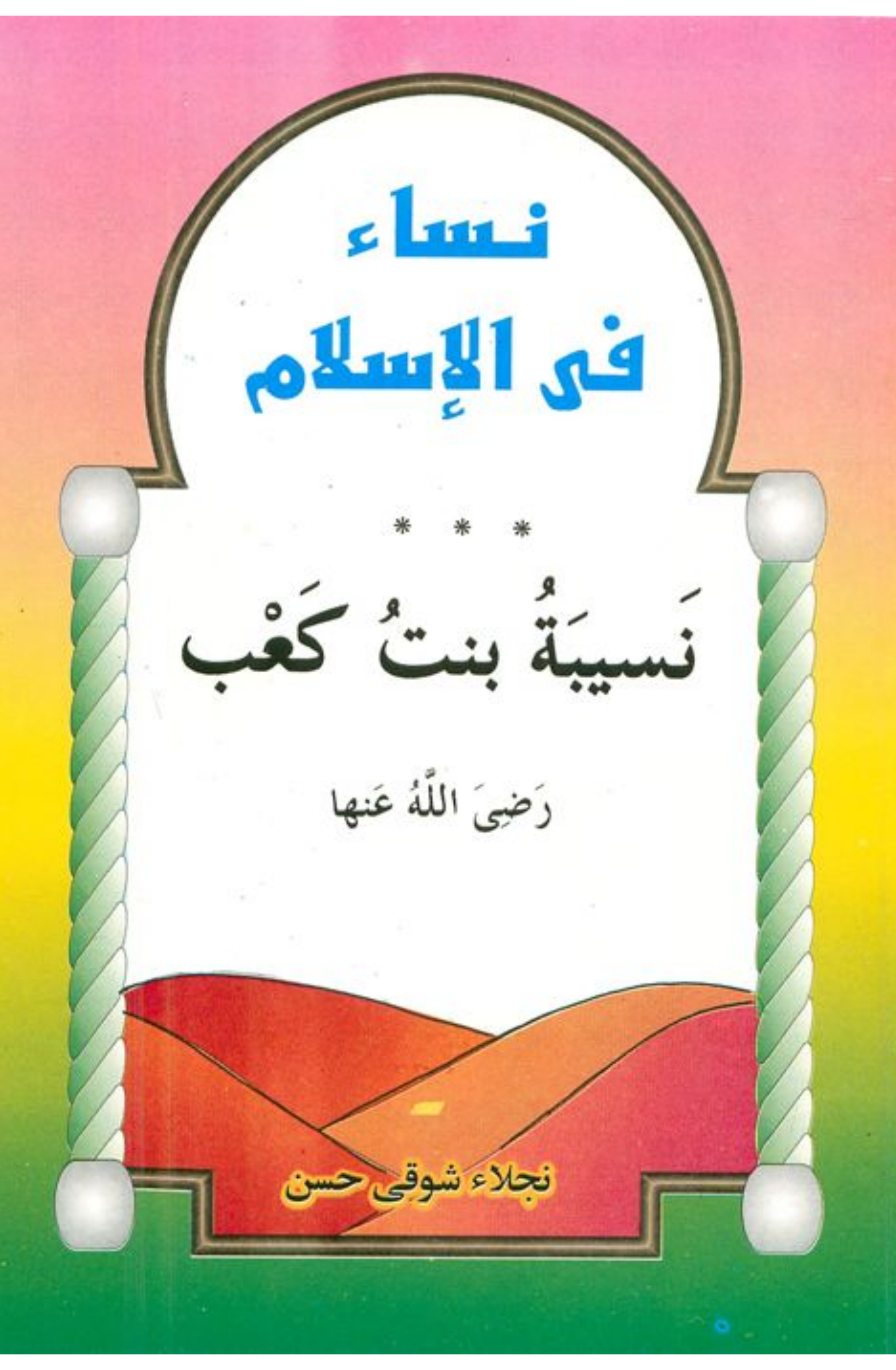

نساء
فى الإسلام
* * *
نَسيبَةُ بنتُ كَعْب
رَضِيَ اللَّهُ عَنها
نجلاء شوقى حسن

نَسيبَةُ بنتُ كَعْب

رضِيَ اللّهُ عَنها

جَلسَتِ السَّيِّدةُ أمامَ شاشَةِ التّليفِزيون ، تُشاهدُ حفلَ تَخريجِ دُفعَةٍ من ضُبّاطِ قُوّاتِنا المُسلّحة ، فى فَرحةٍ وسُرور .

إذ دخلتْ عليها ابنَتُها حَنان ، قادِمَةً من المَدرَسة ، فقالتْ عِندَما رأتْ والِدتَها تُشاهِد التّليفزْيون :

ـــ يا سَلام يا ماما ! تَجلِسينَ تُشاهِدينَ التّليفزيون ، وتَترُكينَ شُغلَ البَيْت .. أليسَ هذا ما تَقولينَه لى يا ماما ، عِندما أترُكُ اسْتِذكارَ الدُّروس ، وأجلِسُ أمامَ التّليفِزْيون ؟

قالتْ أُمُّها وهى تَضحك : أيَّتُها الشّقِيَّة ، إنّنى

أحلُمُ باليَومِ الّذى يتخرَّجُ فيه أَخوكِ شَريف مِثلَهم .

قالتْ حَنان : إنَّ شَريف ما يَزالُ بالفِرقَةِ الأولَى بالكُلّيَّةِ الحَربيَّة ، إذ التَحقَ بها بعدَ نَجاحِه فى الثّانويَّةِ العامّةِ منذُ شُهورٍ قَليلَة .

قالَت أُمُّها : إنَّ سَعادَتى لا توصَف ، عندَما يطرُقُ الباب ، وأَراهُ فى بذلَتِهِ العَسكَريَّة ، وأقولُ له : تَفضَّل يا حَضرةَ الضّابط .

قالتْ حَنانُ فى سُرور ، وهى تَجلِسُ بِجوارِ والِدَتِها : وسوفَ أكونُ أنا أُختَ حَضرَةِ الضّابط ، الّذى يَحمى مِصرَ من شَرِّ الأعْداء .

ثمَّ قالتْ : هل تَعلمينَ يا ماما أنّنى كنتُ أتَمنَّى أن أكونَ ضابِطَةً أحمِلُ السِّلاح ، وأُحارِبُ

الأعداء ، وأحمى حُدودَ بِلادى ، وليسَ هناكَ ما يمنعُ أن أقودَ دبّابَة ، أو أقودَ طائرَة ، مِثلَما يفعلُ الرِّجال . ولا شكَّ أنَّ هناك كَثيراتٍ مثلى يَتَمنَّينَ ذلك .

ضحِكتْ أُمُّها وقالتْ : كانَ ذلك مُمكِنا يا ابْنَتى ، لو أنَّ هناك نَقصًا فى عَددِ الرَّجال ، ولكنْ عِندَنا والحمدُ لِلّه ، الرِّجالُ القادِرونَ على حِمايَةِ وَطنِنا . والمَرأةُ فى الإسْلامِ قد جاهَدتْ وحارَبتْ فى مُختَلَفِ المَيادين ، ومِنها مَيْدانُ القِتال .

قالتْ حنانُ فى دَهشة : مَيدانُ القِتال ! تَقصِدينَ يا ماما أنَّها حَملتِ السَّلاحَ وقاتَلتِ الأعْداء ؟

قالتْ أمُّها : نعم ، إنَّ هناك حِكايـاتٍ كَثـيرة ، عن جِهادِ الـمَرأةِ فى الإسْلام .

قالتْ حنانُ فى لَهفَة : احكـى لى يـا مامـا عـن المَرأةِ الَّتى حَمَلتِ السِّلاح وقاتَلتِ الأَعداء .

قالتْ أمُّها : سأحكى لكِ يا حَنان ، عن نَسيبة بنتِ كَعب ـ رضِىَ اللَّه عَنها ـ منذُ أن أسْـلَمتْ إلى أن تُوفِّيَتْ .

سـارَعتْ حَنـانُ فـأغلَقتْ جِهـازَ التِّليفِزيـون ، واعتدَلت فى جلسَتِها ، وأنصَتتْ فى شَوق .

قالتْ أُمُّها : انتَشرتْ دَعوةُ الإسْلامِ فى مَدينَـةِ يَـثرِب ، وسـارعَ كثيرٌ مـن أبْنائهـا إلى الإيمـان بالرِّسالةِ الَّتى نزلتْ على رَسولِ اللَّه ـ صلَّى اللَّه عَليـهِ وسـلَّم ـــ ، وخـرجَ رِجـالٌ كَثيرونَ لِلقـاءِ

الرَّسولِ فى مكّة ، وفى مُقدِّمَتِهم عاصِمُ بنُ زَيد ، وزَوجَتُه نَسيبةُ بنتُ كعب ، المُلقّبةُ بأُمِّ عِمارَة .

وهُناكَ فى الشّعبِ ــ أى مَوطنِ القَبيلَةِ الكَبيرة ــ بايَعوا النّبىّ ــ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ــ على أن يَعبُدوا اللّهَ وحدَه ، لا يُشرِكونَ به شَيْئا ، وأن يَنصُروا دينَه ، وأن يَقولوا الحقَّ لا يَخشَوْن فيهِ لَومَةَ لائم .

وبعدَ عَودتِهم إلى يَثرب ، قامتْ نَسيبَةُ بدَورِها فى خِدمَةِ الإسْلامِ خيرَ قِيام . فكانت تُبشِّرُ بالدّينِ الجَديدِ بينَ صَديقاتِها وجيرانِها .

وعندَما هاجرَ رسولُ اللّهِ ــ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ــ إلى يَثرب ، الّتى سُمِّيتْ بعدَ وُصولِهِ

إليهـا « المدينَـةَ الـمُنوَّرَة » ، ازْدادَ الـمُسلِمونَ فيها قُوَّة ، وأذِنَ اللّهُ للمُسلِمينَ أن يُدافِعـوا عـن أنفُسِـهم ، ويُحـارِبوا الّذيـن أخرَجوهـم مـن دِيارِهم .

وبـدأتْ نَسيبةُ بنتُ كعـب ، تتـدَرَّبُ علـى التَّمريضِ حتّى أتقَنَته ، كما تَمرَّنـت على حَملِ السِّلاح ، لتُدافِعَ عن نَفسِها إذا لَزِمَ الأمر .

وفـى غَـزوةِ بـدر ، خَـرجَ ابنُها عبـدُ اللّـهِ مع المُقـاتلينَ تحـتَ رايـةِ الإسْـلام ، وكـان النَّصـرُ للمُسلِمين . وبهَذه الغَـزوةِ ، غَـزوةِ بَـدر ، فـرقَ اللَّـهُ بـين الحقِّ والبـاطل ، فـأعزَّ الحـقَّ وأزْهـقَ البـاطِل . وصَـرع الـمُسلِمونَ أبطـالَ قُريـش ، وقَتلوا رُءوسَ الكُفرِ الّذين يُنكِرونَ ديـنَ اللّـه ،

ويُريدونَ أن يُطفِئوا نورَه بأفْواهِهم .

وأخذَ كُفّارُ قُرَيش ، بعد هَزيمَتِهم في بَدْر ، يُعدّونَ العُدَّةَ للثّأرِ من المُسلِمين . وتَقدَّم جَيشُهُم نحوَ المَدينَةِ المُنوَّرة ، وخرجَ المُسلِمونَ للدِّفاعِ عن دينِهم ، وخرجَتْ نَسيبَةُ وراءَ الجَيش ، لتَسقى المُجاهِدين ، وتقومَ بأعمالِ التّمريض .

وبدَأت مَعركَةُ أُحُد ، وانتَصرَ المُسلِمونَ في جَولَتِها الأولَى ، ثمَّ خالفَ الرُّماةُ أوامِرَ الرَّسولِ بالثّباتِ في مَواقِعِهم ، وانْشَغلوا بجَمعِ الغَنائِم ، فتَفرَّقتْ جُموعُهم ، ولم يَثبُتْ في مَكانِهِ إلاّ رَسولُ اللّه ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ وجَمعٌ من كِبارِ الصَّحابةِ لا يزيدُ عددُهُم على عَشرَةِ

أفْراد . وأحاطَ المُشرِكونَ بالرَّسولِ وصَحابَتِهِ من كلِّ جانب ، يُريـدونَ القَضـاءَ عَليهِـم والخَـلاصَ مِنهم .

وعندَمـا رأتْ نَسـيبَةُ بنـتُ كعـب ، مَوقِـفَ المُسـلِمينَ الحَـرِج ، ألقَـتِ السِّـقاءَ مـن يَدِهـا ، واستَلَّت سَيْفا ، وانْدفعتْ تُدافِعُ عن رَسولِ اللّـه ـــ صلّـى اللّه عَليـهِ وسلّم ـــ وراحـتْ تَرمـي بالقَوس ، وتَتلَقّى النّبلَ دونَه .

ويقولُ رسولُ اللّه ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ : ما التَفَتُّ يَمينًا أو شِمالا ، إلاّ وأنـا أَراهـا تُقـاتِلُ دوني .

وأقبـلَ عليهـا أحـدُ فُرسـانِ قُرَيـش ، شـاهرًا سَيفَه ، وضرَبها بالسَّـيف ، فتَلَقّـت ضَربَتَـهُ على

التّرسِ فلم تَصنَعْ بها شَيْئا ، وضربتْ قَوائمَ فَرَسِه بسَيفِها فعَقرَته . ووقعَ الفارِسُ على ظَهرِه . وعندَما حاولَ أن يَنهَض ، عاجَلَتْه نَسيبَةُ وابنُها بضَربَةٍ قَضتْ عليه .

وجُرحَ ابنُها عبدُ اللّهِ فى المَعرَكة ، وتدَفّقَ الدَّمُ من جُرحِه ، فأقبلتْ نَسيبَةُ وضمَّدتْ جُرحَ ابنِها ، والنّبىّ ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ واقِفٌ يَنظُرُ إلَيْها . وبعدَ أن انتهَتْ من عِلاجِ ابنِها قالتْ لَه :

ـ انهَضْ وحارِب القَوم .

فقالَ لها النّبىُّ ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ :

ـ ومن يُطيقُ ما تُطيقينَ يا أُمَّ عِمارَة ؟

وظهرَ الرَّجلُ الّذى ضرَبَ ابنَها عبدَ اللّهِ

وأصابَه ، فأشارَ إليه رسولُ اللّه ، وقالَ لِنَسيبَة :

ـ هذا ضاربُ ابنِك .

وتصدَّت نَسيبَةُ للرَّجل ، وضرَبتْ ساقَه فبرَك ، ثمَّ طَعنتِ الرَّجلَ طَعنةً كانتِ القاضِيَة .

فتبَسَّم رَسولُ اللّه ـ صلَّى اللّه عَليهِ وسلَّم ـ وقال :

ـ الحمدُ لِلّه الّذى أظفرَكِ بعَدُوِّك ، وأراكِ ثأرَكِ بعَينِك .

وهجمَ أحدُ المُشرِكينَ على رَسولِ اللّه ـ صلَّى اللّه عَليهِ وسلَّم ـ يُريدُ قَتلَه ، فوقفَتْ له نَسيبةُ ومُصعَبُ بنُ عُمَير ، فقتلَ المُشرِكُ مُصعبَ بنَ عُمَير ، فوقَفتْ نسيبَةُ فى وَجهِه ، فضَربَها ضَربةً هائلَة ، وأصابَها فى عُنُقِها إصابَةً شَديدَة .

ولكِنّهـا لم تَضعُـف ، بـل راحـتْ تُوجِّـه لـه الضَّرَبات . ونـادَى رسـولُ اللّـه ابنَهـا عبـدَ اللّـهِ وهو يُشيرُ له :

ـ أُمُّك .. أُمُّك .. اعصِبْ جُرحَها ، بارك الله عليكُم أهلَ بَيت .

وسمِعـتْ نَسيبَةُ دُعـاءَ رَسـولِ اللّـه ، فقـالتْ مُخاطِبةً إيّاهُ والدِّماءُ تَنزِفُ مِنها :

ـ ادعُ لنا اللّهَ أن نُرافِقَكَ فى الجَنّة .

فأجابَها رسولُ اللّه ـ صلّى اللّه عَليهِ وسلّم ـ :

ـ اللّهمَّ اجعَلهُم رُفقائى فى الجَنّة .

وهتَفتْ نَسيبَةُ حِينئذ : ما أُبالى ما أصـابَنى مـنَ الدُّنيا .

* * *

وكبرَ ابنُها حَبيب ، وأرسَلَهُ الخَليفَةُ أبو بَكرٍ الصِّديقُ إلى مُسيلِمَةَ الكذّابِ برِسالَةٍ منه . لكِنَّ مُسيلِمةَ لم يَرعَ حُرمَةَ الرُّسُل ، بل قَبضَ على حَبيبٍ وقَتلَه . وعلِمتْ نَسيبَةُ بما حدَثَ من مُسَيْلِمَة ، فنذرَتْ لِلّه أن تَشهَدَ مَقتَلَه ، وتُشارِكَ فيه .

وسارَ جَيشُ خَليفَةِ رَسولِ اللّه إلى مُسيلِمَة ، وفيه ابنُ نَسيبَةَ عبدُ اللّه بنُ زيد . وخرجَت نَسيبَةُ مع الجَيشِ فى هَودَج ، ولها من العُمرِ سِتّونَ عاما .

وقامَتِ الحربُ بينَ المُسلِمينَ ومُسَيلِمة ، وفى بدايَةِ المَعرَكة ، انْهزَمَ المُسلِمون ، وثبتَ القائدُ العَظيمُ خالِدُ بنُ الوَليد . وصاحَ فى المُسلِمين :

وامُحمَّداه ! . وارتَفعَ لِواءُ رَسولِ اللَّهِ مرَّةً أُخرَى ، وأقبلَ الصَّحابةُ منَ المُهاجِرينَ والأنصارِ يُقاتِلونَ طلبًا للنَّصرِ أو الشَّهادَة .

ورغمَ سنِّ أمِّ عِمارَةَ المُتقدِّمَة ، فقدْ سَحبتْ سَيفًا وشاركتْ فى الهُجومِ على مُسيلِمَةَ وجَيشِهِ ، مع كَوكَبةٍ منَ الأنصارِ فيهم ابنُها عبدُ اللَّه . وتذكَّرتْ جِهادَها وكِفاحَها مع رَسولِ اللَّه ــ صلَّى اللَّه عَليهِ وسلَّم ــ ، وتذكَّرت دُعاءَ رَسولِ اللَّهِ لها ولأَهلِها بأنَّهم رِفاقُهُ فى الجَنَّة ، فهَجمتْ لا تُبالى ، وأصابَها اثنا عَشَر جُرحًا فلم تَهتَمّ ، وقُطعتْ ذِراعُها من شِدَّةِ الهُجوم فلم تَتوقَّف .

ووصلتِ الكَوكبَةُ إلى مُسيلِمَة ، ورَفعَ عبدُ

اللَّهِ سيفَه ، وقضَى بضَربَتِه الهائِلَةِ على مُسيلِمَةَ الكذّاب .

وعـادَتْ أمُّ عِمـارَةَ بـذِراعٍ واحِـدَة ، لكنّهـا عـادَت بنفسٍ راضِيَـة ، لأنَّ اللّـهَ ـــ سبحانَهُ وتَعالى ـ صدَقَ وَعدَه ، وأعزَّ جُندَه ، وهَزم الفِئَةَ المُرتَدَّة .

عادتْ راضِيَة ، وبَقِيتْ رَمزًا لِكفاحِ المُسلِمين ، حتّى انتقلَتْ إلى ربِّها راضِيَةً مَرضِيَّة .